الديبلوماسي ، أي ، الستراتيجية التي كانت تقف وراء العبارات الأميركية والأحداث الشرق أوسطية منذ ١٩٦٩ .

هذا التقييم يتطلب ، أولا ، إيضاح الفروقات الاجرائية أو « التكتيكية » التي ربما استترت وراء دائرتي الاهتمام الديبلوماسي قصيرتي الأمد ، حيث تشكل الأولى سنوات قيادة نيكسون ــ كسنجر ــ فورد ، وتشكل الثانية سنوات كارتر ــ بريجنسكي .

ثانياً ، على التحليل أن يميز مثل هذه الفروقات التكتيكية عن الاتجاهات متوسطة الأجل ، الأمر الذي يتطلب تصوراً موجزاً عن الالتزامات الثابتة ، والتي ستشكل العناصر الستراتيجية الدائمة في تكوين السياسة الاميركية في الشرق الأوسط على مدى العقد المقبل .

وأخيراً ، فالتقييم يتطلب فهماً للعملية الطويلة الأجل، والتي من خلالها تخضع الستراتيجيات التي كانت قائمة ، للتغيير . وتحليل « الستراتيجية العظمى » لأميركا يتطلب تفحصاً للمفهوم المركزي المنظم وللروابط المنطقية التي تشكل بنيته .

ومن ثم يمكن النظر إلى المفاوضات بوصفها فرصاً أمام الديبلوماسيين لامتحان مقترحاتهم العلمانية بالنسبة لحلفائهم وأعدائهم ، خصوصاً ما يتصل بمدى رد فعل كل منهم على أشكال الاغراءات والعقوبات المتنوعة . هذه المفاهيم والعلاقات المنطقية تشبه بنية ما يسمى في العلوم بـ « النماذج »[1] ، ففي نقطة محددة يتم تنظيم الفكر والتطبيق العلميين بنموذج شمولي واحد يسيطر على البحث ويتقدم ، حتى حين يبدأ بمواجهة الحالات الشاذة . والستراتيجيات العظمى ، شأنها في ذلك شأن النماذج العلمية ، تصطدم بالمعضلات حين تحيط بعملياتها « الحالات الشاذة » عن التوقعات التي خرج بها صانعو السياسة على ضوء المفهوم الستراتيجي المسيطر .

قد يطرح، هنا، ان استراتيجية السيطرة التي قامت عليها السياسة الاميركية الكونية في الستينات ، وجهود المفاوضات الأميركية في الشرق الأوسط أثناء العقد الماضي ، قد بدأت تواجه مثل هذه الحالات الشاذة . وقد كتب زبجنيو بريجنسكي ، المستشار الحالي للأمن القومي الأميركي ، في ١٩٧٠ عن التوتر الذي تولده هذه الفوضى ، في الدوائر السياسية ، قائلاً :

« ... لفترة من الزمن ، يقوم الاطار المؤسس ، وبمفعول رجعي ، بدمج الجديد ، عن طريق تكييفه بشكل اكثر إلفة ، لكن عند نقطة معينة ، يصبح الاطار القديم محملاً اكثر مما يطيق . ويمتنع الزاد الجديد عن أن يعرف بأشكال تقليدية ، وبالتالي فهو يؤكد نفسه بقوة جبرية » (بريجنسكي ١٩٧٠ ، ص ٢٧٤) .

ويمكن إيضاح الستراتيجية المطلوبة لمواجهة نموذج السيطرة الضخم ، من خلال تحليل توماس كوهن عن الثورات بنماذج علمية . فالأدوار التكتيكية المتخصصة والملائمة يمكن أن تكون من حصة العناصر المكونة العديدة لحركة المقاومة كوسائط قصيرة الأجل للتقدم نحو الهدف البعيد ، وهذا الهدف لا يكون أقل من استبدال النموذج المسيطر بآخر يعبر عن المطالب العادلة للأغلبية الكونية ، ويكون نموذجاً مقرراً اجتماعياً أكثر منه عسكرياً .

ويكشف تحليل الدائرتين قصيرتي الأجل في محاولات نيكسون ــ كسنجر ــ فورد